العدد الثاني - مارس 2017
ISSN: 2543 - 3814

مقدمات

مجلة فصلية محكمة

مرجعيات وتيمات النص في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية — حمزة الزاوي — الجزائر
أي مستقبل للكتابة الفلسفية في المدى العربي؟ — سهيل فرح — لبنان
نحنُ وراهن المُواطنة والدولة والعَوْلمة؟ — مصطفى الكيلاني — تونس
الفلسفة والأدب: طلاق أم تكامل؟ — عبد الجليل بن محمد الأزدي — المغرب
القيم بين البرغماتيين والوضعيين المناطقة — غيضان السيد علي — مصر
الإيقاع القناوي والخطاب الجسدي — عبد الرحمان مزيان — الجزائر
المنطق غير التقليدي وأهمية تدريسه في أقسام الفلسفة — أسعد الجنابي — الجزائر
المنهج الفنومنولوجي في علم النفس — صلاح قنصوة — مصر
بالفرنسية:
الجسد محجوز بالسياسة — دريس بلحسن — فرنسا

يصدرها مخبر الفلسفة وتاريخها - جامعة وهران 2 - الجزائر

دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

مقدمات

مجلة فصلية محكمة

العدد الثاني مارس 2017

باللغة العربية:

مرجعيات وتيمات النص في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية 9
د. حمزة الزاوي

أي مستقبل للكتابة الفلسفية في المدى العربي؟ 19
د. سهيل فرح

علي حرب ومغامرات النقد، من النقد إلى نقد النقد مقاربة نقدية. 29
د. عبد القادر بودومة

نحنُ وراهن المُواطنة والدولة والعَوْلمة؟ 43
د. مصطفى الكيلاني

قراءة في كتاب: الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند بن خلدون لـ«عبد القادر جغلول» 51
د. أحمد براهيم

الفلسفة والأدب: طلاق أم تكامل؟ 57
د. عبد الجليل بن محمد الأزدي

نظرية التأويل في الفكر الإسلامي 67
د.نورالدين باب العياط

القيم بين البرغماتيين والوضعيين المناطقة وليم جيمس والفريد آير نموذجاً 79
د. غيضان السيد علي

الإيقاع الفناوي والخطاب الجسدي 91
د. عبد الرحمان مزيان

المنطق غير التقليدي وأهمية تدريسه في أقسام الفلسفة 95
د. أسعد الجنابي

المنهج الفنومنولوجي في علم النفس سارتر نموذجاً 101
د. صلاح قنصوة

نقد النموذج المعرفي الغربي عند عبد الوهاب المسيري 111
عبد المالك لحسن

باللغة الفرنسية:

Le corps saisi par la politique 13
DRISS BELLAHCÈNE

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

علي حرب ومغامرات النقد من النقد إلى نقد النقد
مقاربة نقدية.

د. عبد القادر بودومة
قسم الفلسفة جامعة تلمسان

Abstract:

This paper is an attempt to talk about the beginnings of the different criticism project which we used to apply when discussing the big criticism project in the modern Arabic culture. Are we up to new possibilities for a serious practice of criticism standing on criticizing criticism, at the leader of the transformational logic "Ali Harb"? Are we facing the cognitive reality made by mechanisms which breakthrough the observed text in the modern culture? or maybe we should stop at the big progress in our knowledge system ,in one side, in the other one, the openness on new influential pens, and their important contribution diffidently in the crystallization of an Arabic intellectual project, keeping up with the change, and programs which marks our modern world such as a developed technology and we hear about identities crossing the continents, this type of reality imposes us to produce other knowledge regulations in order to try to understand the new coming realities.

Key words: Ali Harb, critics, raison, Arabic philosophy, culture, modernity.

"الكشف عن التراث هو إعادة اكتشاف له. وإعادة الكشف إنما هي إعادة بناء الذات، واستنهاض للوعي..." علي حرب: مداخلات

بدايات نقد النقد:

هل يمكننا الحديث عن بدايات لمشروع نقد مغاير، لذلك النقد الذي ألفنا ممارسته داخل خطاب المشاريع النقدية الكبرى في الثقافة العربية المعاصرة؟ هل نحن أمام إمكانات جديدة لجدية الممارسة النقدية القائمة على نقد النقد أو النقد المضاعف، لدى صاحب المنطق التحويلي "علي حرب"؟ هل نحن أمام واقع معرفي ينتج من آليات تخترق النص المرصود في الثقافة العربية المعاصرة؟ لربما كان من الضروري أن نقف عند ما يحدث من تطورات هامة في منظومتنا المعرفية. هذا من جهة، والانفتاح من جهة أخرى على أقلام أصبح لها تأثيرها، وفعلها في المساهمة و بكيفية مغايرة على بلورة مشروع ثقافي عربي يساير التطورات و التحولات الكبرى التي يشهدها عالمنا المعاصر من تكنولوجيا متطورة، و إعلامية متقدمة، إلى درجة أننا نسمع اليوم عن هويات عابرة للقارات. إن مثل هذا الواقع يفرض علينا إنتاج نظم معرفية أخرى نحاول عبرها فهم الوقائع المتجددة.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

وفي هذا المطلب تندرج أعمال واشتغالات "علي حرب" المفكر اللبناني الذي يكرس اهتمامه بتقديم تصورات جديدة تحمل تجددها لواقعنا المعاصر، تنطلق من اختراق كل خطاب عمل على رسم حدوده الواهية القائمة على مبدأ الهوية القاتل، وعلى الإيديولوجيات الثابتة، خطاب محصن داخل قلاع الصروح النسقية العظيمة، خطاب لم يجلب سوى الفشل و الهزيمة، والعجز على مسايرة التحولات الطارئة، إنه ومع "علي حرب" يغدو الإنسان العربي الكائن المنفتح على إمكانات وجودية في جوهرها، إمكانات تدعوه إلى تغيير نمط رؤيته إلى واقعه، وأن يقدم تصورات جديدة تعي، وتدرك المعطيات الراهنة، لا تدعي لنفسها امتلاك القدرة على تقديم حلول جذرية و نهائية للمآزق التي يتعرض إليها المجتمع العربي بصورة خاصة.

ثمة فاعل بشري يقول "علي حرب": آخذ في التكون يجسد نمطا مغايرا في ممارسة الوجود أو شكلا جديدا للترابط والتعايش، بقدر ما يفكر و يعمل على صنع ذاته، والتعاطي مع واقعه من خلال ابتكار الفارق والفائق، أو إنتاج الملائم والفعّال، من شبكات الفهم والاتصال ..."[1] أمام هذه التطورات الكبرى التي أصبحنا نعيش راهنيتها بشكل سلبي، لا يسع الكائن الفاعل الذي يدعو إليه «حرب» إلا أن يُفَعِل عمليات النقد الموجهة على الخصوص نحو أصحاب مشاريع الحداثة، والعقلانية النقدية.

إن مهمة «حرب» في مثل هذه الحالات تجد نفسها أمام مواقف جذرية تمرست على الصرامة المنطقية الرافضة لكل ما له علاقة باللاعقل، فكيف ستتمكن الممارسات النقدية لـ«علي حرب» من اختراق مثل هذه الصرامة والكشف عما تحجبه من توهيمات؟ إنه يوجه إليها ترسانته اللغوية الضخمة، و أجهزته المنهجية الفتاكة، فاخترق بها خطابات متنوعة، ومتعددة من حيث الانتماء المعرفي والثقافي. يمكن القول أنه ثمة عوالم ثلاث أنتجت خطابات متعددة المناحي، فالعالم القديم أنتج أصولياته الدينية، وتطوراته اللاهوتية، و العالم الحديث أنتج فلسفاته العلمانية، و تصوراته النقدية، وبنى رواياته العقلانية وأدلوجاته العالمية. و ها نحن اليوم أمام عالم ثالث، هو العالم الآخر في التشكل، هو عالم الإنسان المواطن العالمي، ولا يجد «علي حرب» أي حرج في الإعلان أنه ينبغي الانخراط ضمن العالم الثالث بصورة مباشرة لنكون فاعلين في تشكيله، ومشاركين في بلورته. إن زمننا هو زمن المشاركة العالمية لكل كائن بشري فاعل مهما كانت جنسيته أو انتماءاته... وهذا ما يأخذه

«علي حرب» على أصحاب المشاريع الكبرى التي قرأت التراث العربي الإسلامي، قراءة منغلقة، فجنت على المجتمع، وأفراده.

لقد اتخذت من فاعل الهوية منطلقا لها فحتى النقد غدا عندها هوية قائمة بذاتها. و هذا ما حدث فعلا داخل منظومتنا المعرفية المعاصرة، التي تغذت من الهزائم المتوالية، فثمة نقدا للعقل على الطريقة الفقهية، مثلما فعل «طه عبد الرحمن» في مشروعه فقه الفلسفة، و ثمة نقدا للعقل على الطريقة الدينية، وهذا ما نجده لدى «محمد أركون» في مشروعه نقد العقل الإسلامي، وثمة نقدا على الطريقة القومية، و هذا ما قام به «محمد عابد الجابري» في نقده للعقل العربي. الكل توجه نحو نقد العقل محاولين إعادة النظر في كيفية وشروط إمكاناته على إنتاج معرفة، بصورة مركزية العقل. ومنه

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

وقعت في طرح إيديولوجي يضخم خطابه حول الهوية... نقد قائم على الدحض يتوخى الموضوعية، و الصرامة المنطقيتين المفروضان من قبل المناهج الوضعية المعاصرة، من تاريخانية، وبنيوية، وتكوينية، وإبستيمولوجية، ونقدية عقلانية. إن الهوية القوية والفعالة، ليست ما يملكه المرء أو يعطي له، إنها حسب «علي حرب» ما ليست كيانا ما، وراثيا، وإنما هي ثمرة الجهد و المراس والاشتغال على المعطى الوجودي بكل أبعاده، من أجل تحويله إلى أعمال وإنجازات، إنها صناعة و تحويل بقدر ما هي بناء وتشكيل.[2]

إن ما آل إليه واقعنا من تمزق و تجزيئ إنما هو من فرط تمسك المثقف العربي بأوهامه ومبادئه الواهية التي ما فتئ يوزعها على أبناء مجتمعه، ولا يمكن الخروج من المأزق إلا بإقامة علاقة نقدية في الذات والأفكار لإحداث قفزة ننتقل بها من لغة الشعار وعقلية الطوبي، ومنطق الاستلاب، إلى لغة الفهم و عقلية الخلق، ومنطق الحدث والتكوين...[3]

إنه لمن الضروري قراءة تراثنا، و فهم عبره ذواتنا لكن من الضروري أيضا، أن نكون في الوقت ذاته متسلحين بترسانة قوية من الأجهزة و المناهج، لكي نقوم بمثل هذه المهمة على أحسن وجه. لربما وجدنا أنفسنا محكومين بوهم الفاعلية والإبداع الفكري الفائق.

نقد النص في مقابل مركزية النقد:

من يقول بتصفية الحساب لا يمارس تفكيكا للخطاب، أي أنه يبتعد عن نقد النص. نقد النقد ـ ذلك أن النصوص الهامة، و المبدعة لها على الدوام قسطا من الحقيقة و الوجود. كل عمل إبداعي، كل نص يمارس علينا حضوره، وبفرض وجوده شئنا هذا أم أبينا إن الأمر لا يقف عند رغبتنا في قبوله أو رفضه، ولا عند مدى امتلاك النص حقيقته المطلقة، لأن قراءة نقد النقد تدرك جيدا أن مثل هذه المواقف و الادعاءات، إنما هي مجرد محاولة لتكريس الأوهام، التي لا تخدم أبدا مشاريع التقدم، والديمقراطية، والتنمية، والوحدة داخل مجتمعاتنا. وهذا حال و وضع المشاريع الكبرى التي ما فتئت تتكلم من داخل قلاعها المحصنة، المنتجة للخطابات المضخمة، والمفخمة. فما جنت في نهاية المطاف سوى الانهزام والانتكاسة بدل الوحدة والقوة التي حلمت بإنجازها. والمصير نفسه سيلقاه أولئك الذين يحاولون مسايرة خطابات الوهم والإيهام.

إنه من الضروري الانخراط في إبداع وحشد آليات أخرى مغايرة لقراءات فاعلة لوقائعنا الراهنة، فكان لزاما إذًا التخلي عن عقليات الانغلاق المكرسة لنصوص المواجهة والعدائية والتفرقة، والاستعلاء داخل مجتمعات ضعيفة ذهنيا. إن المشروع الثقافي العربي لا يمر إلا عبر فتح المجال أمام الإبداع بشتى كيفياته وبمختلف تلاوينه، دون إقصاء، أو أثارت حوله نعوت رفضه بين أفراد المجتمع، و علينا أن ندرك جيدا أنه عند كل لحظة ممارسة النقد تغدو القراءة مثمرة وفعالة، وفي واقع خطاب النص إننا ننتقد في جميع الحالات النصوص و لا نولي فعالية مثل هذه الممارسة نحو أصحاب النصوص، إذ لامعنى للكاتب بمجرد ما يفرغ من كتابة نصه، و هذا حال ممارسة «علي حرب» لمنطقه التحويلي. إنه (أي المنطق

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

التحويلي) نقدا مضاعفا يتجاوز كل حالات الصدام والصراع مع أصحاب المشاريع الضخمة.

إنه لا يفضل المواجهة الكلامية والسجالية، لأنه يدرك أن مثل هذه المواجهة لا تنتج علما ولا معرفة بقدر ما تنتج حربا و تفرقة.

إن هدف صاحب المنطق التحويلي، ترك النص، أو إرغامه على البوح بما يكنه من أسرار في داخل انثناءاته، كما يقوم بتعرية النصوص مما تحمله من أوهام و أخطاء، إن النص نسيج، جسد، شبكة من المفاهيم، تحجب حقيقته، إنه وفي عرف صاحب المنطق التحويلي لا يوجد نصا يبوح وبصراحة عن حقيقة ما، بل أنه في مجمل الحالات يسكت عن حقيقته، وهنا تكمن أهمية ممارسته النقدية في حجب و كشف المستور، وجعله مكشوفا، حاضرا بعد غيابه، بعد سباته الذي نال منه حظا طويلا من الزمن. لقد عمل أصحاب المشاريع الكبرى، على أن يجدوا تطابقا بينهم و بين ما يكتبون، أي يوجدون وحدة بين الكاتب والمكتوب (النص والمؤلف)، والقارئ و المقروء (المؤول والمؤوَّل) بالقياس إلى وحدة النفس والجسد الثنائية التي جثمت على الأذهان زمنا طويلا، حيث حاول الفكر الجدلي، القائم على نفي النفي، بتكريس مثل هذا الصراع القائم على الثنائيات. هذا كان حال فلسفات الأنساق، في حين يتحدث المنطق التحويلي الذي يشتغل عليه «علي حرب» ولربما كان من المفكرين العرب الذين كانوا من الأوائل في المساهمة في إيجاد فكر في مقابل فكر الأنساق، إلى جانب مفكرين آخرين أمثال: عبد الكبير الخطيبي، وعبد العزيز بن عرفة، عبد السلام بنعبد العالي، كاظم جهاد، وعبد الله ابراهيم، وعبد الله الغدامي، وسالم يفوت، وعبد الحليم عطية (محمد)... إلا أن «علي حرب» أكثر جرأة في مارسته النقدية، حتى أننا وجدناه في أعماله الأخيرة يعلن عن بدايات لنقد تفكيكية «دريدا»، في إطار تفكيك التفكيك.

إن منطق نقد النقد الذي هو المنطق التحويلي يتحدث عن نوع من التحرر الشبه تام، و عن استقلال أكيد بين الكاتب و ما يكتبه، ذلك أن الكاتب لن يصبح له وجود داخل النص. لن يكون سوى هذه الهوية المشظية، التي ترى تمزقها داخل نسيج النص، وما يحدث لها من اختراقات بفعل القراءة، يأبى إلا أن يسمع أنين نصه و هو يتألم ...» يفاجأ الكاتب مفاجأة لا تنتهي حين يرى كتابه الذي انفصل عنه يحيا حياته الخاصة...ها هوذا الكتاب يبحث عن قرائه، يبعث الحياة، يُلْهِم الفرح، يلهم الرعب، تتولد عنه أعمال أخرى، يصير روح بعض التصميمات، وبعض الأعمال، باختصار يحيا ككائن له أيامه يكون كل ما كان لديه من أفكار وأحاسيس حاملة للحياة من قوة، و من سموّ من الشعاع، مازالت تحيا في كتاباته إذ لم يعد يمثل سوى الرماد، بينما ناره قد توزعت في كل الآفاق و لم تنطفئ...»[4]

إن ما يفتحه نقد النقد من إمكان الوجود مضاعف للكائن يجعله ينفتح على النص و يبدع من خلاله نصوصا أخرى ويجترح عبر عبوره واختراقه للنص شبكة من المفاهيم تميز خطابه، و ممارساته الفكرية، وهذا ما ضمن دائرة التأويل اللامنتهية، إن النشاط العقلي يقول «حرب» هو في جوهره نشاط تأويلي، والتأويل هو منهج العقل في تناول تاريخه وماضيه، فالمغامرات العقلية الكبرى هي تأويلات الإنسان لوجوده وعالمه والتأويل هو أصل المناهج كلها كما ينظر إليه «غادامير» وبالتأويل بما هو فتح آفاق المعنى ينبني العالم الإنساني»[5] يتعامل «علي حرب» مع النص، النص كخطاب، و لا يهمه كاتبه، إنه يؤول

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

النص، ولا يؤول كاتبه. إذ الممارسة النقدية بالنسبة إليه تتجاوز القراءات الصدامية والمواجهات المفضية إلى أنصاف الحلول، من منطلق توفيقي تلفيقي لا غير. إن النص جسد، شبكة من المفاهيم يحمل لامنطوقاته، يحمل صمته رغما عن مؤلفه، إننا أمام خطاب تم الاعتراف به وتكريسه، إنه (أي النص) كلام أثبت جدارته، واكتسب فرادته، وأصبح أثرا يرجع إليه، النص مرجع يفرض نفسه علينا، و يدعونا إلى الرجوع إليه، وقراءته باستمرار.

إن كل ربط للنص بالواقع هو تعسف في حقه يمارس ضده، وهو في النهاية يهدر كينونته، فالأمر عند «علي حرب» كما أشرنا سالفا لا يتعلق بنقد العقل، عند نقاده، وهل أحسنوا نقدهم للعقل وهل أحسن نقاد النقد نقدهم لأصحاب المشاريع النقدية للعقل بقدر ما يتعلق كما يشير بنقد خطاب العقل نفسه للكشف عما يمارسه هذا الخطاب، بوصفه خطاب الماهيات من وجوه التحويل والتغييب، والإقصاء، خطاب لا ينفك عن تأليه وتضخيم الأشياء، وتغييب وإقصاء العالم. من جهة أخرى نجد العديد من المفكرين قد تورطوا في فخ التعظيم والإعلاء من شأن ما كتبوه لم يحاولوا أن يتباينوا ونصوصهم ، بل جعلوا من هذه الأخيرة منبرا للتكلم منه ، في حين يتفطن صاحب المنطق التحويلي ليأخذ متهجا آخر إذ يفضل الذهاب نحو النص مباشر، إنه يرفض على خطابات النقد مركزية نقدهم للعقل، كما يرفض عليهم دعاويهم المتكررة بإمكانات التأصيل للتراث، ليعلن استحالته، لقد أصبح النص بالنسبة لـ «علي حرب» يشكل منطقة هامة من مناطق الفكر، وهذا مل يجعل منه حقلا يتشكف فحصه والاشتغال فيه عن إمكان الوجود والفكر معا... إنني قارئ يقول «حرب» أشتغل على النصوص مساءلة واستنطاقا أو حفرا وتنقيبا، أو تحليلا وتفكيكا... وليس النقد بجديد، فالنشاط الفلسفي ذو طابع نقدي إشكالي، هكذا كانت الفلسفة على الدوام ولا تزال ابتداء من «سقراط» الذي انتهت به المعرفة إلى الجهل، أو من «أفلاطون» الذي تكشف قراءة محايدة لمحاوراته تعادل الكفة بين «سقراط» وخصومه من السوفسطائيين، ولكن النقد أصبح جوهر النشاط الفلسفي ومحوره منذ «كانط» الذي لا تكمن أهميته في النسق الذي حاول بناءه، ولا في الحقيقة المتعالية التي أنشأ القول فيها، بل تكمن بالدرجة الأولى في كونه كتب نصا له حضوره وصموده ، أي في كونه قدم تجربة لا تحيل على حقيقة خارجها بقدر ما تنطوي على حقيقتها، وإذا كان النقد الفلسفي ينطوي على تشريح أو على تحليل وتفكيك، فليس الأمر سلبا مطلقا مثلما يدعيه ويمنعه علينا أصحاب المشاريع الكبرى، الذين ترعبهم ممارسات فلاسفة التفكيك «إن النقد نشاط خلاّق يمكن أن يتكشف عن صورة من صور الفكر و عن شكل من أشكال ممارسة الذات أو عن نمط من أنماط الوجود.[6]

النقد و لعبة التفكيك:

من منطلق رحابة الصدر، ورباطة الجأش يمارس «علي حرب» نقده على المشاريع العقلانية الغربية والعربية، محاولا إعادة النظر فيما بلغته الممارسة النقدية في الثقافة العربية المعاصرة على الخصوص من انسداد الأفق في عدم قدرتها على استيعاب المعطيات والتحولات الاستثنائية والتغيرات الكبرى التي بدأ يشهدها العالم، فجل المشاريع وجدت نفسها أمام وضع كارثي، جعلها من الصعب اتخاذ المواقف

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

الحاسمة، فهي إما تستسلم لهذا الواقع، فتجاريه، وهو واقع عربي مليء بالصدامات والعدائية، والتفرقة. ولابد لها أن تتخلى حينها على مشاريعها القومية، الوحدوية، والأقليمية، وإما أن تساير الحدث الكوني الشاهد على تطور وتقدم المجتمعات الغربية، وبالتالي تجد نفسها أمام مأزق الفشل الدعوة إلى حداثة عربية ناقدة، وناقمة على ما آل إليه الوضع العربي من الإيمان بالخرافة، والخوارق، والمعجزات... وهذا حال المشاريع النقدية التي تبناها العديد من المفكرين من أمثال: محمد عابد الجابري، ومحمد أركون، وعبد الله العروي، وحسن حنفي، وحسين مروة، وطيب تيزيني، وطه عبد الرحمن...ممن طالهم نقد صاحب مشروع نقد النص.

وفي اتجاه آخر يحاول «علي حرب» عدم تفويت فرصة على نقد طروحات الإنسانية المعاصرة، التي يرى أنها مليئة بالأوهام والتوهيمات، اليوتوبيات، وهذا ما حاول «علي حرب» إيضاحه من خلال ممارساته النقدية على نصوص غربية لفلاسفة كبار أمثال: ميشال فوكو، جيل دولوز، جاك دريدا، بيير بورديو، ناعوم تشومسكي... يرى «حرب» أنه من الضروري الاشتغال على النص ومحاولة فهمه من خلال ممارسة النقد عليه نقدا يعمل على تفكيك النص لكشف حقيقته وما يحمله من سلطة جاثمة على الأذهان، والعقول الحرة.

إن النقد يقوم بتفكيك أبنية الواقع وروابطه من أجل إعادة تركيبه على نحو جديد. إن «علي حرب» في بداية مشروعه «نقد النقد» أو نقد النص الذي قرأ به مشاريع العقل الحداثي العربي، عمل على إنكار ما يتبناه أصحابها من آليات وأدوات فكرية مجلوبة من الخارج ومحاولة تطبيقها لأجل فهم عقلنا وتراثنا، وفي هذا الصدد أعاب «حرب» على مشاريع النقد مركزيتها العقلية. بدءا بـ«الجابري» في مشروعه نقد العقل العربي، إلى «طه عبد الرحمن» في نقد العقل الفقهي، مرورا بـ «محمد أركون» في مشروعه نقد العقل الإسلامي.

إن ما توصل إليه «محمد عابد الجابري» من نتائج مرتبطة كلية بمحاولة تنقية العقل العربي، وبالتالي تصفية الحساب عن كل دخيل وافد حاول التوغل داخل الثقافة العربية، فأفسد عليها نقاءها. يعمل «الجابري» على إبعاده وهذا حال موقفه من «العرفان» الذي نعته باللامعقول، الواجب إقصاؤه من تراثنا القائم على عقلانية صارمة، مشكلة في جوهرها من البيان، يدعونا «الجابري» إلى عدم التقيد بالقراءات السابقة للتراث والعمل على تجاوزها، لكونها لم تهتم بما هو أساسي في ممارستها لآلية النقد. فمنذ النهضة لم تتطرق القراءات السائدة إلى نقد آلة الفكر- العقل.

إن «الجابري» يعلن عن مهمته المحفوفة بالمزالق، والمخاطر حتى وهو يمارس النقد هذا الذي لم تطله آلة النقد، فإنه لم يكن عمله في حد ذاته بمنأى عن النقد. فإذا كان «الجابري» كما يشير «علي حرب» ينقد آلة الفكر على منوال «كانط» ومفكرو الأبستمولوجيا والمعرفة العلمية فإننا نفقد بدورنا هذا الذي انتقد العقل ذاته. ومنه سنكون أمام نقد مضاعف، نقد النقد، لسنا بصدد مواجهة أو الدخول كـ «ند» منافس يضع المتاريس والعوائق ضد مشروع فكري قائم بذاته. فالكل يدرك أهمية «الجابري» دون استثناء على الثقافة العربية المعاصرة. فإنجازاته في هذا المجال هي جد مثمرة، أين حاول إعادة

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

ترتيب ديكور منزل الفكر والثقافة العربية عندما صنف البنية ونظم المعرفة القائمة على البيان والبرهان والعرفان.

إلا أن «الجابري» وعلى ذكر «نظام العرفان» يتنكر لهذا الأخير أهميته، ويمارس عليه إقصاء مروعا ضده ويطرده من دائرة الحقيقة في الفكر العربي، فلم يكن العرفان بالنسبة إليه إلا عنصرا دخيلا، وافدا إلينا من بلاد أجنبية (الفرس) فأفسد تراثنا، إننا نعتقد وعلى خلاف ما ذهبت إليه انتقادات «علي حرب» لموقف «الجابري» من العرفان، إننا وجدناه موقفا وفيا للممارسة العقلانية، وإيمانه المطلق بأهمية العقل وتمسكه الشديد بالمناهج العقلانية وعلى رأسها العقلانية النقدية. هذا ما جعله في نظرنا يقصي بصورة ملفتة الانتباه التصوف، وبالتالي همّش مادة متواجدة في عمق تراثنا، لقد ناديت بضرورة الاستقلال التاريخي للذات

العربية وهو استقلال لا يمكن تحقيقه إلا بإعادة ترتيب العلاقة بينها وبين التراث والفكر الأوربي على أساس العقلانية النقدية...»[7]

إن «الجابري» وفي ممارسته النقدية حجب ما يحمله العقل العربي من أوهام وتستر بالتالي على حقيقته، لأنه (أي الجابري) استلهم قراءته النقدية في حد ذاتها من مناهج وضعية تكرس وهم الموضوعية، فامتنع لحظتها نص «الجابري» عن الكلام، أي ثمة قمعا مارسه «الجابري» على القارئ في دعوته وبصورة غير مباشرة انه بإمكاننا تنقية وتخليص التراث العربي من أساطيره وأوهامه، بالإضافة إلى ذلك فإن «الجابري» حسب «علي حرب» وقع من فرط إيمانه بالعقلانية في مركزية العقل، إذ جعل منه عقلا «عربيا» لتراث عربي...! عقل عربي لا ينطوي أبدا على جوانب لا- معقولة، خلافا للمعقول اليوناني والفارسي اللذان يحملان لا معقوليتهما في ثنايا نظمهما المعرفية، كما يوجد منطقة أخرى يحاول «الجابري» أو نص «الجابري» كتمانها وعدم البوح بها، تكمن في ادعاءه أنه لا يوجد خطابا لاعقلانيا، فكل خطاب عقلاني بالضرورة. إننا إزاء خداع يمارس علينا غوايته، خداع أنطولوجي، يعلن عن عجز الخطاب عن التطابق مع ما يريد قوله، أو في كون الكلام هو غير ما يقصده المتكلم، أي هو آخر أو أكثر مما يود تبيانه أو الإعراب عنه. هنا تكمن أهمية النقد التفكيكي، إذ يعمل على الدوام باشتغال دائم على النص، على ما تنتجه الذات من نصوص، لا من أجل تصفية الحساب، أو دحض معالمها، ولا من أجل العمل على تخليصها من مترسباتها التاريخية، كما نعتقد ونتوهم، ولكن من أجل تعرية ما يمارس من عجز عقلي، أو زيف وجودي، أو إرهاب نفسي.

إن التفكيك لا يدعي أنه يسعى لأجل تخليص العقل من شوائبه اللامعقولة، أو من عوارضه الخرافية يطرد اللامعقول إلى خارجه، بالعكس كما يقول «علي حرب» إننا نفكك أنظمة المعرفة و قوالب الفهم لكي نفضح ما يمارس تحت اسم العقل من التفكير الأحادي والمنطق التبسيطي».[8]

التفكيك، وتفكيك التفكيك:

سؤال التفكيك، سؤال الراهن الذي يغدو فهمه مطلبا، وتشخيصه واجبا، وتحليل عناصره وتركيبها أمرا

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

ضروريا، لفهم الواقع. سؤال يتجرد من البداهات الأولى، وينسف الأنساق الثابتة، ويدمر كل قول يدعي أنه مُنشِأ الحقيقة المطلقة. يجد سؤال التفكيك نفسه أمام وقائع مليئة بالأزمات والمآزق والانتكاسات، واقع كارثي، أنتجته القراءات المتأخرة المنجزة من قبل عقل الأنوار الذي انحرف عن مطلبه البطولي القائم على تشخيص الراهن، وفي أن يغدو العقل والذات متحررات من القوالب والعوائق القبلية. لكن راح العقل التنويري ينتج خطابا مليئا هو الآخر بادعاءات العصمة والخلاص، فوجدنا أنفسنا أمام مأزق: إمبريالية العقلانية والعقل، ولما كان الأمر يتعلق بما أنتجه العقل سواء داخل مجتمعات الغرب أو عندنا.

عمل المفكر اللبناني علي حرب من دون حرج على تفكيك هذا المأزق الذي تورط فيه العديد من المثقفين، الذي حاولوا بناء مشاريع كبرى قائمة على خطابات التفخيم والتضخيم، توزع قمعها وتوهيماتها داخل المجتمع. تتكلم بلسان النص الأعظم فغدا النهوض بنقد مغاير لمثل هذه الخطابات مطلبا ضروريا. فاجترح «علي حرب» وهو القارئ الفاعل والمنفعل في الوقت نفسه باشتغاله على نصوص متعددة ومتنوعة من حيث التخصصات، وهو المتسلح بترسانة لغوية هائلة من الصعب إنكارها، مكنته من الولوج والنفاذ داخل خطابات مشاريع النقد العقلاني.. لا نود في هذا المجال تقديم قراءة نقدية، ولا أحكام جاهزة حول الكيفية التي قرأ بها «حرب» النصوص، فضلنا أن نرجأ المهمة لاحقا.

إن «علي حرب» لا ينكر الفضل المعرفي لثقافة الآخر على مساره الفكري، وفي تكوينه العلمي، لربما كان هذا الموقف يحمل دلالات عديدة أهمها أنه من المفكرين الذين يحسنون ضيافة أفكار الآخر، الوافدة إليه، لا يرفضها، ويتنكر لها أبدا، وهذا ما وجدناه في مفكرنا، وهو يعلن في أعماله العديدة أهمية النصوص المبدعة التي تمكنه من ابتكار وخلق وإبداع شبكات مفهومية تساهم في بلورة مشروع ثقافي عربي مغاير «لا أتعامل يقول «علي حرب» مع التفكيك بوصفه نسخة طبق الأصل كما هو عند «جاك دريدا» ولا بوصفه نموذجا صالحا للتطبيق، و إنما أتعامل معه كإمكان لتجديد القول وتجديد القول وتوليد المعنى، أو لإعادة الفهم، وبناء الموقف، نعم ثمة نسخ ولكن على سبيل الاختلاف التبديل أو على سبيل الصرف والتحويل وهذا موقفي من كل الذين تمرست بنصوصهم واستدخلت أعمالهم سواء لدى «نيتشه»، و«هايدغر»، أو لدى «فوكو» و«دولوز»، أو لدى «فرانسوا جاكوب» و«ألان باديو»

وسواهم الذين تأثرت ببعضهم أكثر مما تأثرت بجاك دريد Jacques Derrida، هذا فضلا عن القدماء وعلى رأسهم «ابن عربي» الذي أعده أهم وأقدم مفكك للعلاقة بين المعنى و الأصل[9] ولربما مثل هذا التعاطي المعرفي مع مشاريع فكرية مختلفة جعلته ينفتح على آليات لا تعترف بالهوية كنسق ثابت، وكمطلب عرقي، أو جنسي وعقائدي ينبغي تحقيقه، إن فكر «علي حرب» الذي يدعو إليه لا هوية، ولا وطن ولا جنسية له، يرفض أن ينعت ويصنف ضمن أولئك الذين يدعون أنهم حاملون الرسالات، ودعاة العقائد الناجية، الآمرة والناهية، ومنه كان اشتغال «علي حرب» على التفكيك أمر أكثر من ضرورة، لكونه يكشف تسترات النص، وعورات الخطاب. إن ما يكشفه لنا التفكيك ونحن نمارسه، أننا ننتج المعنى بقدر ما ندعي شرحه، ونقع بالدور بقدر ما نتوهم الإحكام والتماسك والاتساق. ونمارس الحجب بقدر ما نقوم بالكشف والإضاءة، ونفكر بطريقة مركزية بقدر ما نسعى إلى تحطيم المركزيات

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

أو تفكيك الهويات. يفضل «علي حرب» إدراج سؤال التفكيك ضمن اكتشافه الخاص المتمثل في مفهوم «المنطق التحويلي» الذي اقترحه من ممارساته النقدية المكثفة والفعالية، تعرف باستمرار غزارتها، ونموها وازدهارها بانفتاحها على نصوص مختلفة ومتنوعة، إن المنطق التحويلي لا يختار ولا يترك أن تختار له أهدافه، إنه يتجاوز لحظات التصنيف، فممارسة نقد النص عند تخوم أفكار أو نظريات محددة بصورة قبلية. لا يحبذ «حرب» القفز على السجال بقدر ما يفضل حركات الخطف، وهذا ما يجعل عمله النقدي يبتعد عن معناه الحرفي، ويتجرأ على نقد كل النصوص مهما كان حجمها أو وزنها. فمثلما انتقد حسين مروة، والجابري، وأركون، انتقد أيضا بيير بورديو وفوكو، وحتى صاحب التفكيك «جاك دريدا» مارس هو الآخر عليه تفكيكه، ومنه بدأ يتبلور في الأفق الفكري لدى «حرب» حسب تصورنا ممارسة مغايرة للنقد التفكيكي عند دريدا ولربما أسميناه «تفكيك التفكيك»، مثل هذه الممارسة تجلت مؤخرا في أعمال «علي حرب» ففي مقال له بـــــ: جريدة مستقبل اللبنانية[10] حاول أن يفكك تصور «جاك دريدا» حول أطروحته المتسمة بطوباويتها حول ما آلت إليه الإنسانية من مأزق وواقع كارثي ويرى «حرب» أنه كان من الأجدى أن يتعامل دريدا مع هذا الواقع برُوية وتبصُّر «من هنا فالأولى يقول»حرب» عند من يعقل ويتدبر ليس لوم الواقع البائس، بل العمل على تفكيك هوية الإنسان الذي هو نحن كما تجسده نماذج الإنسان الأعلى والمتعالية أو الإصطفائي والنخبوي...هذا هو الممكن والمجدي:

وضع إنسانيتنا على مشرحة النقد...»[11] لقد استثمر «حرب» مثل هذا الموقف الذي أعلن عنه التفكيك ولم يفوّت الفرصة في الانقضاض عليه والإعلان صراحة أن «جاك دريدا» أصبح داعية وانتفت عنه صفة الفيلسوف الذي يفكر الواقع ويشخص أعراضه لأجل فهم وابتكار طرق العلاج، فلو كان الأمر يتعلق بمفكر آخر ممن توهمهم الشعارات والخطابات لتعاطف مع مثل هذه المواقف لا لسبب إلا كونه يجعل من صاحب الموقف صنما قائما بذاته. إن «علي حرب» فعلا ذلك المفكر الذي يتجاوز تقديس الزعامات والشخصيات الفكرية، لا يمكننا أبدا تصنيفه فمرة نعتبره هيغليا، ومرة كانطيا ومرة فوكويا، ومرة دولوزيا، ومرة دريديا...وفي كل هذه الحالات لا يغدو أبدا واحدا من هؤلاء، وإنما هو هذا الكل هويته تتموقع حيث اللاموقع، وفي ذلك يكمن اختلافه الأنطولوجي، أين يحقق في ظل هذه الشبكة من التصورات كينونته. إن التفكيك مجرد استراتيجية يحاول أن يكرس عبره سياسته الفكرية، وفي الوقت نفسه، يذهب بنا إلى أفق أكثر رحابة، عندمانجعل منه رهاننا لفهم الوقائع، ومنه يتيح لنا إمكانية تفكيك الأزمات للخروج من المآزق التي في واقع الحال تقودنا إليها سلوكاتنا المعرفية وأفكارنا لا غير، علينا في هذا المجال ألاّ نلقي اللوم على غيرنا فيما آل إلي وضعنا من تمزق وتشتت وفُرقة ومن عجز وهشاشة في إبداع مشاريع ثقافية وفكرية متماسكة، ذلك أننا قرأنا راهنيتها من منطق إيديولوجي، دوغمائي، وفي معظمه (أي البعد الإيديولوجي) كان يتم عن نرجسية خطيرة، كنا نتصور أنه بإمكاننا الانتصار على الغرب الملحد، الكافر، الفاسد، المستعمر، المستغل، الشيطان...غرب يحاول طمس هويتنا، غرب يهددنا في وجودنا وكياننا... فدخلنا في صراع، ونحن نعلم أنه الأقوى منا عتادا، وعدة، صراع نعتقد أننا كنا في غنى عنه ولا نزال نُصرُّ على عدم خوضه، لأن وحده الذي يتجاهل واقعه، ويجهل قدراته

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

يتراءى له إمكانيات أو بالأحرى أوهام الانتصار، والواقع يشهد على ذلك، فمن الأجدى أن نعمل على امتلاك استراتيجية خاصة بتشكيل علوم إنسانية، واجتماعية، هنا مكمن الضعف لدينا. إن بتوفيرها يمكننا فهم ذواتنا وفهم غيرنا. إن «علي حرب» يدعونا في جل أعماله لأجل الكف والتخلص من هذه التوهمات والإيهامات، والأوهام التي لا تزيدنا إلا هشاشةً وفصاماً وعصابا وأمراضاً نفسية خطيرة بدأ الجسد العربي يعاني منها... فكيف نفسر عجز الحداثيين العرب من التجديد والابتكار، في المطالب المتعلقة بالعقل والتنوير ، والتنمية، والديمقراطية والتقدم أو بالحرية والحداثة نفسها؟

علينا اختراق الآخر، نص الآخر، خطاب الآخر، حياة الآخر. إن الذهاب إليه وفق استراتيجية معرفية أمر ضروري، لما لا دعوته واستضافته؟ ألسنا مجتمعات الضيافة؟ علينا استقبال الآخر، ليس الغرب فقط ذلك الشيطان الأكبر، والمستعمر المدمر، والمستغل الإمبريالي... هو أيضا غرب غوته، وبودلير، ونيتشه، وهيدغر، وكانط، ودريدا، وهيغل، ودولوز...إنه غرب الحكمة والمعرفة. فلنتخذ من صديقا بدل من أن يغدو عدوا نحتاط منه، ونحترس من خداعه، ونهاب ونخاف بطشه وسطوته...علينا أن نبطل ونوقف النفاق المعرفي الذي نمارسه في كتاباتنا المعرفية وداخل جامعاتنا، فكيف ننعت الغرب بنعوت العداء ونرسل طلابنا إلى جامعاته لكي يأتوا بتكنولوجيته وإبداعاته، إنه لوهم ذلك الذي يعتقد أنه يمكننا إنارة المظلم بنور الظالم؟ هل هو الآخر المختلف أو الغريب أو البعيد عنا كل البعد في اللغة والعرق أو في الوطن أو في العقيدة أو في الحضارة؟ هل الآخر هو من تجمعنا به علاقة القهر والتسلط، أو النبذ والإقصاء أو النهب والسلب، أو الصراع والاقتتال؟ إنه وبالاشتغال على التفكيك نكتشف أننا نحن نعيش وهم التسمية والتصنيف لا غير، أين أصبحت الخطابات الموزعة من قبل أصحاب المشاريع النقدية مجرد نصوص شاهدة، تشهد على نفسها بنفسها، «ليس التفكيك يقول «علي حرب» مجرد منهج في البحث نَأمَن معه من الخطأ والزلل، لأن المشتغل به ليس باحثا عن حقيقة جاهزة تبدد الشك و تدحض الكذب حتى يكون صاحب منهج يقيه من الانحراف عن جادة الصواب، وإنما هو مفكك لخطاب الحقيقة، ليكشف عن ألاعيبه في التقسيم والتصنيف أو عن آلياته في الاستبعاد والتعتيم، الأحرى إذا أن لا نتحدث عن منهج في البحث، بل عن نمط من التفكير هو بسط للوجود ونشر للقوة...»[12]

لقد اجترح «حرب» مفهوم «المنطق التحويلي» نوعا من الممارسة التفكيكية، لكنها تفكيك مضاعف، يمنح فرص وإمكانات أفضل لأجل إبداع شبكات من المفاهيم ويعمل باستمرار على تجديدها، كما يتيح القدرة لنا على فهم مآزق الواقع وكيفية الانفلات منها دون الابتعاد عن الواقع، بل الانخراط كلية فيه.

لم تكن مهمة «المنطق التحويلي» هي القبض على الواقع بقدر ما كانت مهمة دائمة لفهمه، وإعادة ابتكاره، لربما لا نجد «جاك دريدا» صاحب التفكيك ينفتح لحظة ممارسته التفكيكية كلية على الواقع، ولا يعلن علناً عمّا تحمله ذاته من آلام الواقع، وجروح الذات، فثمة غياب شبه كلي لقراءات الذات في بعدها الأنطولوجي لدى دريدا. هذا إذا استثنينا بعض الأفكارو التصورات التي يبديها «جاك دريدا» في حواراته ولقاءاته الفكرية مع أصدقائه...[13] فهل هذا راجع إلى كوْنِ فكره لم يعرف انتقالات وتحولات أنطولوجية ؟! هذا ما فتح الفرصة أمام نقده من قبل «علي حرب» الذي مارس عليه ضرباته بالسلاح

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

نفسه الذي امتلكه «جاك دريدا» و أخذه عنه» حرب» أي «التفكيك « « Déconstruction».

هذا ونجد «حرب» على الدوام يحاول تغيير حركته ومساره الفكري، حتى غدا من الصعب التم في آليات القراءة عند صاحب المنطق التحويلي، نكاد نقول أنه ثمة نوعا من الكتابة المغايرة يعمل «علي حرب» على بلورتها، هذا من جهة، كما يمكن أن ننعت هذه الصعوبة بأنه ثمة عجز وإخفاق يحدث مع «علي حرب» في تقديم رؤى واضحة لحظة ممارسته النقدية، أين وجدناه يكررفي العديد من الأعمال عبارات وفقرات ونصوص بأكملها، وبنفس اللغة، ونعتقد أن الأمر إذا بقي لدى صاحب المنطق التحويلي على هذه الكيفية، فإنه سيجد نفسه أمام موقف لا يحسد عليه، ندعوه بدورنا أن يتحرر من كتاباته، وأن يبدع على الدوام نصوص مغايرة، ألم يكن هذا هو طموحه في الأول و الأخير...؟!

هوامش نقدية:

لقد استفاد المفكر اللبناني «علي حرب» من ممارسته لآليات ولمناهج الفكر الغربي المعاصر، أين نجده قد جيش ترسانه ضخمة من الأجهزة المعرفية في مهمته التي كانت في مجملها صعبة. حاول من خلالها تشخيص وفهم ظواهر الإخفاق، ومآزق الوقائع داخل المجتمع العربي المعاصر. مثل هذه الآليات ساعدته على مراقبة الأزمة من الداخل لا من الخارج، فأبطل مفعول تلك الخطابات التي ما فتئت تكرس إيديولوجيات الفشل والهزيمة، فسبر أعماقها، وانخرط في نظامها، فكك تركيبتها، وحلل بنيتها، «علي حرب» مفكر ما بعد الحداثة، مفكر نقد النقد، مفكر المواطن العالمي، ومفكر العولمة، إنه لا يجد أي حرج في اجتراح مفاهيم لها ارتباط بإبداعات الآخر، الموجود في الضفة الأخرى بل وجدناه كم من مرة يعلن صراحة عن محاكاة ونسخه لتصوراته (أي المفكر الغربي) وهي بالنسبة إليه مجرد لا غير تتيح لنا الفرصة لأجل إبداع لمفاهيمنا الخاصة براهنيتنا وواقعنا العربي. لم يكن «علي حرب» مفكرا يجاري الموضة، في تبني أحد مشاهير الفلسفة، مثلما درج عليه أصحاب المشاريع النقدية، فهو في الوقت الذي يعترف فيه بفضل فوكو، دولوز، دريدا، ليوتار، هايدغر...يدخل من جهة أخرى في نقاش وسجال، ونقد حاد ينفلت من قبضتهم، لكي لا يقع في فخ الولاء والتبعية...لكن علينا ألا نجزم ببراءة ما كتبه «علي حرب» من نقد، وإلا جعلنا منه صنما، فنكون بالتالي قد مارسنا خيانة من نوع آخر على فكره وإبداعاته.

إن «علي حرب» لا يقف عند أسباب فشل المشاريع الحداثية في الثقافة العربية المعاصرة، أين وجدناه لا يكلف نفسه في البحث عن عمق وحقيقة المفاهيم التي تعامل معها العديد من المثقفين العرب، إذ يكتفي لكونه يتسرع بشكل ملفت للانتباه على نسخ، وفسخ القيمة المعرفية لكل النصوص، فمن يقرأ بيير بورديو، ودولوز، وجاك دريدا انطلاقا من كتابات «حرب» فإننا نؤكد خيبة أمل قارئ لهؤلاء الفلاسفة انطلاقا من نص «علي حرب» لأنه لا ولن يجد ما يشفي عطشه التواق نحو الامتلاء بثقافة ما يكتبه فلاسفة الغرب على وجه الخصوص. إن «علي حرب» لا يتوجه في قراءاته النقدية إلى النصوص بلغتها، ولا يكلف نفسه عناء قراءتها فهو يكتفي بما تطالعه إياه الجرائد الصباحية، لتسهل عليه الانقضاض على الكاتب، وأي انقضاض؟! نعتقد بالإضافة إلى ذلك أنه ينبغي علينا أن نخفف من حدة النقد المفرط والمشرع لإبداعات الغير. ليس من السهل أن نحدد عمل مفكر ما ونصدر حوله أحكام

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

قيمية دون متابعة مساره الإبداعي ككل. إن «علي حرب» يصدر أحكاما عديدة على مفكرين من أمثال: «محمد أركون»، و«محمد عابد الجابري»، والنقد نفسه يتكرر في نفس الكتب.

ندعو بدورنا إلى انفتاح صاحب نقد النقد على الممارسة الجدية والعميقة للنقد التفكيكي، إنه وعلى سبيل المثال نجد قراءات «علي حرب» النقدية لأعمال «محمد أركون» وموقف هذا الأخير من مسألة الحداثة، تحمل أحكامها المسبقة والمتسرعة، فأركون في قراءاته للتراث الإسلامي، ومحاولاته النقدية للعقل الإسلامي غير مشدودة بصورة كلية إلى الحداثة الغربية، وهذا ما حاول أن يلصقه «علي حرب» على أعمال «أركون». لا يؤكد هذا الأخير على ضرورة تناول قضايا العقل الإسلامي من منطلق حداثي غربي محض. إن الغرب نفسه معرض للنقد من قبل «أركون»، إذ لم يتوان في التوجيه بالنقد إلى هذا الذي يحاول أن ينكر عليه أحقية توظيف المناهج العلمية على التراث الإسلامي. إن «أركون» يواجه عداء وصراع ورفض من قبل دوائر معرفية في الجامعات الغربية، لا يضحي أركون بالواقع العربي مقابل مجاراته على الدوام بالحكم وبصورة تكاد تكون كلية، وبمفاهيم عابرة يحاول تحديد مصير أعمال ومشاريع يعترف لها بأهميتها. إن نقد «علي حرب» هو بمثابة الصواريخ العابرة للقارات، فبمجرد ما يتم توجيهها نحو الهدف تحدث تدميرها الكلي فمهما حاول «علي حرب» أن يبعد عن نقده تهمة الهدم والتدمير إلا أن قراءة دقيقة، ومتكررة، ومتبصرة لأعماله يجدها تحمل مثل هذه الخصوصيات ،ونشير هنا أن ملاحظتنا هذه لا علاقة لها بـ«النقد التفكيكي» فالتفكيك كمفهوم وكمنهج، وكاستراتيجية لا يهمنا التعامل معه ههنا، بل نعيب الكيفية التي حاول «حرب» أن يقدمها لنا من خلال كتاباته عن التفكيك، فهو بقدر ما يؤمن بما يحققه الحدث الكوني من فتوحات واختراقات في الوقت نفسه على الهويات الثابتة، نجده يمارس «منطقه التحويلي» بالكيفية نفسها.

لا يرتقي صاحب (نقد النص) نقد النقد في الكثير من ممارساته النقدية لمشاريع النقد، والعقلانية النقدية إلى التعامل الجدي والعميق فقراءاته النقدية المقتضبة قريبة جدا إلى القصاصة الإعلامية، الصحفية، لربما لا يزال فعل العمل الصحفي يفعل فعله في مفكرنا. لقد تعود «علي حرب» وفي كثير من أعماله يظهر ذلك على تبسيط وتسطيح أعمال الآخرين، إلى درجة أنه لا يعمل إلا على التشهير بمن سيطال آلة النقد. إن كتاباته لا ترتقي ولا تبلغ أفق الفكر ولا نجدها تعمل على التماسها، بل تزداد إصداراته القياسية للكتب على الابتعاد عن المضمون المعرفي، فهو لم يتوان على تكرار ما كتب في مؤلفاته السابقة، وهذا ما منع علينا جدية نقاشه، فـ «علي حرب» لا يترك لنا المجال ولا يفتحه أمام قراءات متعددة لحداثة الغرب. كان من الأجدى أن يربط صاحب نقد النقد واقع «أركون» المرتبط بالغرب، والمشدود إلى الشرق، إن «أركون» يعيش غرابة وغربة معرفية مارست عليه قمعها وضغطها عليه، ففي الشرق مطلوب رأسه، وفي الغرب مرفوض عقله. لا يجد «أركون» في الواقع ضرورة لبناء حداثة فاعلة ومتميزة، فما هو ضروري بالنسبة إليه يكمن في مدى امتلاك هذا الواقع من منهجيات لفهم وتشخيص ما يحدث له من طارئ خلاب ومدهش ورائع، هذه هي حداثة «أركون» صراع المناهج لا غير. إن الغرب هو الذي يهيمن على جميع المجالات المعرفية والقرارات الفكرية، لكنه في الوقت ذاته يستمر في تجاهل

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

التعددية الدينية والعرقية والثقافية للمجتمعات المفترض أنه يدير شؤونها، كما لاحظ «أركون» وبدقة أن الغرب لا يوجد مجالا لانفتاح العلوم الاجتماعية على المثال الإسلامي، من هنا تكمن مهمة «أركون»، ولا يمكننا أن نعتقد أنه بإمكاننا أن نحمل فشل المشاريع إلى عجرفة واستعلاء أصحابها على واقعهم بل الأمر يتعلق بأولئك الذين يحاولون تطبيقها على مستوى الواقع. إن «أركون» صاحب الإسلاميات يعمل على إدخال الإسلام كمثال مفيد و ضروري للدراسة، وهو في ذلك لا يهدف إلى دعم التبجيل أو التبخير كما يفعل المسلم التقليدي. إني لا أهدف يقول «أركون» إلى تقوية مواقف اللاهوتي الذي يعتقد بوجود إيمان يتجاوز كل شيء، إيمان لا يختزل إلى شيء آخر...هذا ما كان من بعض ما لمسناه من ضرورة الإشارة إليه من هوامش نقدية في الأعمال الفكرية لـ»علي حرب».

الإحـــالات

1. علي حرب: حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى ـ 2000 ـ ص12.
2. علي حرب: الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى ـ 199 ـ ص 34/ ص83.
3. أنظر علي حرب: أصنام النظرية و أطياف الحرية (نقد يورديوو شومسكي) سياسة الفكرII ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى ـ 2001
4. فريديريك نيتشه: إنساني مفرط في إنسانيته ـ ترجمة: محمد الناجي ـ إفريقيا الشرق ـ 1998 ـ ص 115 ـ شذرة رقم 208.
5. علي حرب: نقد النص ـ المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان الطبعة الأولى 1993
6. علي حرب: نقد الحقيقة ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الثانية ـ 1995 ـ ص 142
7. محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ 1994 ـ ص 286. أنظر أيضا: التراث والحداثة ـ دراسات...ومناقشات مركز دراسات الوحدة العربية ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ 1999.
8. على خلاف «علي حرب»، لا أنكر احترامي لـ»محمد عابد الجابري» ولما يكتبه وينجزه من فتوحات أباركها بصورة كلية في مجالات الفكر والمعرفة، ولربما كانت مجلة «فكر ونقد» الذي يعتبر أحد أهم عناصرها، بالطبع لا ننسى الأستاذ: عبد السلام بنعبد العالي، والأستاذ: محمد ابراهيم وعلو تفتح المجال إبداعات مختلفة لا تحمل بعدها الواحدي في التصور المعرفي
9. علي حرب: الأختام الأصولية، والشعائر التقدمية ـ سياسة الفكرI ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى ـ 2001 ـ ص21.
10. علي حرب: «إنسانيتنا المفرطة « مصدر الإخفاق وأصل البربرية ـ جريدة المستقبل ـ الخميس 02مارس 2000 ـ ص 17.
11. يرفض علي حرب الموقف الطوباوي الذي اتخذه جاك دريدا في إبداء رأيه الانسانوي، يقول دريدا: «إن ما يحصل في هذا العالم ليس إنسانيا ولا منطقيا على الإطلاق...» أنظر علي حرب الأختام الأصولية والشعائرية

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

التقدمية ـ ص 122.

12. علي حرب: نقد النص ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى ـ 1993

13. أنظر: عبد العزيز بن عرفة: الدال و الاستبدال ـ المركز الثقافي العربي ـ الطبعة الأولى 1993. وانظر أيضا: لقاء الرباط مع جاك دريدا، لغات وتفكيكات في الثقافة العربية ـ ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي ـ دار توبقال ـ الطبعة الأولى ـ1998.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com
Scanned by CamScanner